



أين كانت القرويين ؟....

يوم أن نودي على الرهبان البندكتان لإصلاحها!

الحلقة الثالثة والعشرون

منظور ابن بركة إلى التعرّيف



تقول زكية داود (1937 -) في كتاب: "ابن بركة، حياة



:¹ وموت

من هذه السنوات المُجَدَّدة، احتفظ المهدى بن بركة باهتمام دائم بخصوص المسائل الثقافية والتربوية.

فجده يعترض بحزن !!، من منطق براغماتي !!!، بعد الحصول على الاستقلال، على التعرّيف الشمولي والمتسرّع للتعليم العام الذي كان حزبه يرفع شعاره.

سوف يجادل


بيان تلميذا فرنكوفونياً جيداً
لأنه أهدي !! للبلد من
تميذ سبيء التعليم، حتى ولو كان في لغته الخاصة !!.

1

زكية داود والمعطي منجب: "ابن بركة، حياة وموت (Ben Barka, une vie, une mort)" . 67 (Monjib Maâti, Zakya Daoudpar)، ص.

فتـ:



هذا لم يكن موقف أصيل ولا شعبي، وإنما لـما ذاك كافح المغاربة من أجل إخراج فرنسا من المغرب؟، إن لم يكن بالأساس من أجل الحفاظ على هويتهم الحضارية والتاريخية المميزة !!.

وتقول أيضاً²:

سجل الأبناء (أبناء ابن بركة) في مدرسة "أطلس" التابعة للبعثة الثقافية



الفرنسية !! عاد بشير . الذي التحق بالليسي (Lycée)

فتـ:



ويظهر جلياً من هذه السابقة، أن المستقبل كان يُعد لـلفرنكوفوني الواعد !!

وليس للمغربي المُعرّب المغرر به !! الذي أرادوا له عن قصد أن يكون

² زكية داود والمعطي منجب، ص. 303 .

سٰئِ التَّكْوين !!، ماداموا هم الذين سهروا من خلال تقادهم للمناصب الوزارية، على جعله

ذلك !! .

و واضح أن هذا الجيل الهجين، لم يكن ليغامر، و طويته بهذا السوء، الزج بفلاذات كبده إلى هذا المستنقع الآسن، حيث تعمل آليات **التخرّب المبرمج للعقل والأفئدة**، على إخراج الناشئة البريئة عن ثوابتها التي قاتل عليها آباؤهم وأجدادهم.

والغريب أنه لم يرتد لهم طرف وهم يلوحون بشعارات جوفاء و فضفاضة و كاذبة و منافية، بينما كانوا يدعون، بدون حياء أو وجّل ما يظنون أنه: **مستقبلاً واعداً ومتفرداً لأبنائهم** خارج المرجعية والهوية وبالتالي ضياع الشعب كله بإهمالهم لجيشه الواعد و نفاقة لهم له، خدمة لما جبلوا عليه وألقموه في الصغر في مدارس **المستعمر**،

الغطة القاتلة للوطنيين كمنت في تبوئهم لمثل هذا الرهط من المهجنين في توقيع الزعامة والسلطة.

قال المستشرق **ريجي بلاشير** (Régis Blachère) (1900 - 1973)³ أستاذ

السوريون عن ابن بركة أثناء الإدلاء بشهادته في المحاكمة الشهيرة⁴ التي حكم فيها مختطفى

³ بلاشير.ر.ل. (Blachère, R., L.) (1900 ~ 1973 م) ولد في مون روج بالقرب من باريس وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء بثانوية ليوطني وتخرج بالعربية من كلية الآداب بالجزائر سنة 1922 م. عين أستاداً بثانوية المولى يوسف بالرباط. ولما نال شهادة الأستاذية (Agrégation) سنة 1924 انتخب مديرآ لمعهد الدراسات المغاربية العليا بالرباط وظل فيه لمدة 12 سنة (1924 ~ 1935). بعدها عين أستاذ كرسى للأدب العربي في مدرسة اللغات الشرقية بباريس. نال الدكتوراه سنة 1936 وعين أستاداً محاضراً في السوريون، وكر العناكب الاستشرافية الفرنسية ذوي المنحى الإيديولوجي الصليبي الذي لا يخفى تحيزاته⁴!. أثناء الحرب العالمية الثانية، أصبح مديرآ لمدرسة الدراسات العليا والعلمية سنة 1942 ، ثم أستاداً للغة العربية وحضارتها في جامعة باريس سنة 1956 ثم مشرفاً على مجلة "المعرفة" التي صدرت باللغتين العربية والفرنسية من باريس. وإنما غيره منفردأ أو مشاركة مع غيره من المستشرقين. ولابد لتلميذ مثل ابن بركة المتخرج من ثانوية المولى يوسف ان يثکبر أولئك الذين صنعواه وقوليه دون أن يدرى!

ابن بركة ومتاليه بالأراضي الفرنسية وبمساعدة لوجستية ومخابراتية لا يرقى إليها الشك، وعلى أعلى المستويات من طرف أجهزة نافذة ومسؤولة في الحكومة الديغولية يومها⁵ والتي لا تزيد أن ترفع غطاء "سرية الدولة" على ملفات القضية لأنها ملطة الدماء بها من أخص



قدميها إلى قمة رأسها، وذلك رغم الوعود الشهير من الجنرال دوغول - 1890 - 1970)، رئيس الجمهورية الفرنسية يومها، بأنه سيحرص شخصياً على أن تجري

العدالة !! مجرها للقصاص من قتلته !!⁶:

باستطاعتي أن أتكلم ببعض المرونة لأن ما بيني وبين المهدى بن بركة لم يكن في الإمكان الإفصاح عن صداقه بالمعنى الذي نفهمه... فقد كان ذلك الشيء تقارباً معيناً لأفكارنا، بل

وأقول: الإحساسات العقلية !!؟؟!!

وكان أول لقاء لنا في عام 1945 وكان المهدى بن بركة يريد مقابلتي ليوجه لي بعض

الأسئلة عن بعض المشكلات التي تمس تعليم اللغة العربية !! وعن تشجيع الثقافة العربية الإسلامية...}. لقد ظللنا على صلات فكرية {...}. وفي الحقيقة لم يكن يتعدى الخامسة

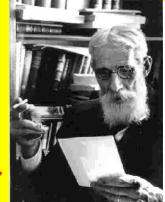
والعشرين من عمره !!، ولكن كان باستطاعة ذلك الشاب أن يقدر المسؤوليات التي كان عليه أن يواجهها يوماً ما.

⁴ انظر السؤال الملف، ص. 44 .

⁵ زكية داود والمعطي منجب، ص.

⁶ ولم يف؟!؟ (Parole de Président!!!????)

وفي الحقيقة تلقيت دعوة في ذلك الوقت مع بعض أساتذة اللغات الشرقية الفرنسية، مثل



الفقيد وليم مارسييه⁷ ، والفقيد ليفي بروفنسال⁸ ومسينيون



للاشتراك في إحدى المؤتمرات حيث كان علينا أن نناقش مع أحد الوفود⁹

⁷ وليم مارسييه (Marçais, w.) 1874 ~ 1956 (عين مديرًا لمدرسة تلمسان وأستاداً لها سنة 1898 واتصل بالفقهاء المسلمين الجزائريين وتدارس معهم في الدب والبيان، ثم تردد على نظرائهم التونسيين ثم المغاربة بعد ذلك وحاول أن يظل بعيداً عن السياسة. ترجم جامع البخاري وغيرها من الكتب كما نشر بمشاركة أخيه المستشرق جورج مارسييه (1876 ~ 1962) كتاب "الأبنية العربية القديمة في مدينة تلمسان" سنة 1903 و "أصول النثر العربي الفني" وغيرها..

⁸ ليفي بروفنسال (Lévi-Provençal) (Évariste Lévi-Provençal) 1894 ~ 1956 (مستشرق فرنسي من مواليد الجزائر، اشتراك في حرب الدردنيل سنة 1914 فنقل إلى مصر ثم الجزائر ثم المغرب ضابطاً في الشؤون الإسلامية. في سنة 1919 انتدبه المرشال ليوطى للعمل في "معهد الدراسات العليا المغربية" الذي كان قد أنشأه بالرباط، ثم تدرج أستاداً فيه سنة 1920 ثم مديرًا له للفترة 1926 ~ 1935 م. أطروحته للدكتوراه كانت تحت عنوان "موزخو الشرفاء". استعفى من إدارة المعهد ليتفرغ للتدريس والتأليف. دعي للقاهرة سنة 1938 أستاداً زائراً وحقق "كتاب الخيرة" لابن بسام. أثاره كثيرة في مختلف الفنون الإسلامية).

⁹ لويس ماسينيون (Massignon,L.) 1883 ~ 1962 (من مواليد نوجان على المارن من ضواحي باريس. تعرف على الأب فوكو الجاسوس الذي قتله الطوارق في تماراست بالصحراء بينما كان يظهر الرهبة والنسك! اشتراك في مؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة 1905 حيث تعرف على المستشرق اليهودي المجري جولدتساير والإسباني أسين بلاسيوس. ولما حصل على دبلوم اللغة العربية من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية سنة 1906 حقته حكومته بالمعهد الفرنسي الآثار الشرقية في القاهرة. ثم قصد بغداد تنقيباً على حفريات الآثار. عاد إلى القاهرة سنة 1909 وانتظم في دروس الأزهر بالزي الأزهري. ثم انتدبته الجامعة المصرية أستاداً لتاريخ الفلسفة بين سني 1912 ~ 1913 م. طوف بعدها الحجاز والقاهرة والقدس وحلب ودمشق في مهمات تجسسية تحضيراً للثورة العربية!. وكان يتتجسس لحساب فرنسا بلده ما كان يتتجسس لورانس العرب الجاسوس البريطاني بل خططاً معاً دخول الحلفاء القدس!. رجع إلى باريس وعيّن في منصب معيد كرسى الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا سنة (1919 ~ 1924)، ثم تدرج إلى أستاذ كرسى وبقي كذلك للفترة (1926 ~ 1954). تعرف عليه مالك بن نبي في فرنسا ونعته بالجاسوس. إلا أنه ناصر في آخريات أيامه بعض القضايا الإسلامية كوقفه لاستعادة جامع "القيشاوة" بالعاصمة الجزائرية إلى المسلمين، بعد أن كان حوله المستعمرون إلى كنيس لمدة 132 سنة. أعماله كثيرة كرسها للمتصوف الزنديق المشهود الكفر: الحسين بن منصور الحلاج (ت: 309 هـ 921 م) ضمن المخطط المسيحي الذي لما لم يفلح في حربه الصليبية المباشرة، بدأ يلجاً إلى هذا النوع من التشويش بالتركيز على الزنادقة والملاحة وإظهارهم وكأنهم هم الرموز الحقيقة للإسلام! تبليساً على من يجهل بالإسلام.

المغربية الدور الذي ينبغي ان تؤديه الثقافة العربية في المغرب !!، ذلك البلد الذي بدأ يبحث عن نفسه! وبدأ يتجه نحو مستقبل غير محقق !!¹⁰
واني لأنكر أنه في ختام المناقشة لم يتمالك ليفي بروفنسال من أن يبدي إعجابه، ثم عبر بصورة علنية بما يحمله من احترام كبير للمهدي بن بركة !!..

وأوضح لي في ذلك الوقت أن **الفضل الأكبر للمهدي !!** كان في إجاد **ثقافة مزدوجة !!** لا ثقافة أدبية أو لفظية بسيطة فحسب، بل ثقافة مما تصل إلى الأعمق: بمعنى أنها:

ثقافة للغة الفرنسية مما تتصل بالموروث الغربي البحتة ... !!

وأود أن أضيف على الفور أنه كثيراً ما كان يقال: أن **المهدي بن بركة** كان الرجل الذي يشجع التعرّب !! نوع من التطرف !!، أعني أنه كان يشجع إقامة ثقافة عربية معينة تؤدي بمرور الزمن، بعد جيلين، إلى طرد ثقافتنا باللغة الفرنسية !!

كل ذلك كان **زوراً وبهتاناً !!** وإنني لا أعلم أن **المهدي بن بركة** كان يشعر حقاً بأنه لا يمكن في بلد مثل المغرب أن يتغافل المرء الأساس العربي الإسلامي!.
ومع ذلك أستطيع أن أؤكد أنه - دون أن ننسى جميع الحقائق الإنسانية والذهنية - لم يكن في استطاعته كذلك أن يتجه نحو **ماض بائد !!** أو أن **يفكر: في ثقافة باللغة العربية فقط !!**

¹⁰ انظر إلى التعالم الواهم من هذا المتنبي الذي يعيد قراءة خطب الجبل الاستعمارية بنكهتها البغيضة والمقيمة التي لا تخطئ!.

قتلت:



الشاهد أنه سجل أبناءه، كما فعل كل **السياسيين الخلاسيين** أمثاله، الذين فقدوا هويتهم بالتنشئة والتکوین، لدى **البعثة الفرنسية**، التي لم تكن تدرس سوى **اللغة الفرنسية**، وتعتبر أي لغة أخرى بـأي زانها، ضرة له !!.

إذا كانت **فرنسا** في عصر **الكونفدرالية والعلمة** ولغتها أشبه بلغة **قبيلة** سواء فيما يخص **العلوم** التي لم تعد **تكتب بها** ألم في **الثقافة العالمية** التي لم تعد تضطلع بصناعة ولو جزء يسير منها، ألم في **الاتصال على شبكة الانترنت** التي لا تبلغ معاجتها لها أكثر من 1%， ومع ذلك يتلقى السياسيون الفرنسيون بأولوية لغتهم في بلدتهم وبأولويتها وحدها ويُسنون من أجل ذلك القوانين تلو القوانين!، مما يمنع ما يصلح عندهم بالنسبة لغتهم التي ينكرون على **الأنجلو ساكسونيين**، إخراجهم لها من السوق، أن لا يصلح مثل هذا الاختيار بالنسبة **للغة العربية** الأكثر فرصة للانتشار في العالم العربي وغيره!.

والظاهر أن المُعمر الثقافي، أحادي البعد والرؤية دائمًا !!. ولذلك لا يستحق من أحرار التفكير سوى **الاحتقار والازدراء** !!

قتلت:



ويعد هذا الخلف النقانصي، أساس فشل **السياسات الفرنسية** فيما يخص الثقافة والثأفف تحت غطاء **الفرانكوفونية** التي تحاول بها مقاومة الثقافة الأنجلو ~ ساكسونية

الطاغية، لأن الثقافة دين !! بالنسبة لفرنسا الثورة.



أنظر كتابنا: "كيف تمت هندسة فيروس اسمه أدونيس".

ثم إن كانت **الحكومة الفرنسية** مُحقة في سن قانون توبون (La LOI Toubon) الصادر في 29 يوليو (تموز) 1994 م الخاص **بالبحث العلمي** والذي أثار يومها اعترافات جارفة من طرف **العلماء الفرنسيين** لحماية لغتها الوطنية الذي تقول بنوده بالحرف¹¹:

البند السادس:

كل مشارك في تظاهرة، ندوة أو مؤتمر منظم في فرنسا من طرف أشخاص طبيعيين أو اعتباريين يحملون **الجنسية الفرنسية** له الحق في التعبير بالفرنسية. المستندات الموزعة على المشاركين قبل وبعد الاجتماع لتقديم البرنامج يجب أن تحرر بالفرنسية ويمكن أن تشتمل على ترجمات بلغة أو عدة لغات أجنبية. إذا ما طلبت تظاهرة، ندوة أو مؤتمر توزيع مستندات تهيئة أو وثائق عمل للمشاركين، أو تطلب نشر وقائع أو ملخصات أعمال، فإن **النصوص أو التدخلات المقدمة بلغة أجنبية** يجب أن تصحب على الأقل **بملخص فرنسي**. إذا ما كلف شخص اعتباري للحق العام أو شخص اعتباري للقانون الخاص بمهمة للصالح العام بمبادرة من التظاهرات المشار إليها في هذا البند توجب إحضار جهاز ترجمة.

¹¹ أنظر النص الفرنسي الأصلي في :

Les Articles 6 et 7 de la LOI relative à l'emploi de la langue française, Décision du 2 Juillet 1994 votée par le Conseil Constitutionnel.

البند السابع:

المنشورات، المجلات والبلاغات الموزعة في فرنسا والصادرة من شخص اعتباري للقانون العام، (أو) من شخص خصوصي يقوم بمهمة للصالح العام أو شخصية خصوصية مستفيدة من إعانة عامة يجب، إذا ما حرروا بلغة أجنبية، أن تشمل (تحاريرهم) على ملخص بالفرنسية.

إن حصول شخص على مساعدة من أجل (تنفيذ) أعمال تربوية أو بحثية يرتبط بـ **بعض المستفيدين** الأضطلاع بنشر أو توزيع أعمالهم بالفرنسية أو القيام بترجمة فرنسية للمنشورات باللغة الأجنبية التي تتفرع عن ذلك، عدا استثناء يسمح به **الوزير المكلف بالبحث العلمي**.

فما يمنع **المغاربة** أو غيرهم من التمسك بذات المطالب بالنسبة لغتهم إن كانت الدعوة

الفرانكوفونية دعوة مشروعة وليس فقط بديلاً لهيمنة أخرى !!

فتلت:

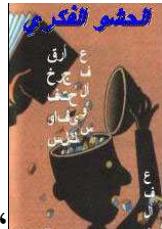


كان **السلطان محمد الخامس** (1927 - 1960)، وعلى

أميته الدينية، يدرك هذه البديهة بالفطرة، حتى وهو خاضع لـ **إجحاف تطبيقات بنود الحماية** الفرنسية، التي يترجمها المعمرون الفرنسيون **حسب ما يروق لهم!**.

فرغم الحصار الذي ضربته الإقامة العامة الاستعمارية الفرنسية حوله، ورغم إمامته باللغة الفرنسية، لم **يرض لنفسه قط** أن يكلم المقيمين العاملين للاستعمار الفرنسي سوى من خلال مترجمين، كما يليق بكل من يحترم نفسه، على عكس **هذا الجيل**

اللقطة !! الذي تربى في مدارس جول فيري (Jules Ferry - 1832)



وأعيد تشكيل مخياله وشخصه (1893)، والذي سيظل يرطن بها

رطن **الببغوات** حتى من خلال الأجهزة الإعلامية الرسمية للدولة التي يقول دستورها:

أن اللغة العربية، هي اللغة الرسمية للبلاد !!

ظناً منهم أنهم **عصرانيون !!** و**حداثيون !!**

ومن البلاء والجهل ما قتل!.



يقول المهدى بنونة: الخبرير بابن بركة لأنه اشتغل معه¹²:

لم يكن ينظر إليه في القصر الملكي (محمد الخامس هو المقصود هنا) بكثير من الاطمئنان.

ويعود ذلك إلى **عدم تدينه !!**، كان **علمانياً !!**. وهذه مسألة لم ترض الملك محمد الخامس. وربما لهذا السبب أبعد عن منصب كان يطمح إليه في البداية، لأنه وجد في ذلك المنصب منفذًا لجمع الشباب حوله. وهو منصب وزير التعليم. وسنلاحظ أنه حين لم يحظ بالمنصب أنشأ **مجلساً للتعریب !!؟؟**. ومن خلال سيطرته المطلقة على الاتحاد الوطني لطلبة المغرب كان يستطيع التأثير وتوجيه الشباب.

قالت:



¹² المهدى بنونة، 1989 : المغرب: السنوات الحرجة، كتاب الشرق الأوسط. الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، جدة، ص. 470

وقد ظهرت تلك الثمار من خلال علاقاته برؤوس **حربة الاستشراق الفرنسي**
الذين مثلوا دائماً **جنود القلم** مقابل جنود البندقية ومنهم من شغل المنصبين معاً.

فعدم تدينه وشيوعيته المبتدلة على مقاسه ومقاس جيله من فرختهم المدارس



الاستعمارية الفرنسية، ما كانت لتقبل برمزانية ك رمزيانية **علال الفاسي** لما كان
يمثله لبعض ما تبقى من وهج **المرجعية الإسلامية**، وليس لكون الأخير فاسي المنشأ
فحسب.

يقول المهدى بنونة¹³ بهذا الخصوص:

لم يكن ابن بركة يقبل علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال، فقد كانت أراؤهما السياسية
تقاطع رغم السنوات التي أمضاها سوياً داخل حزب الاستقلال، لذا **سعى ابن بركة**
للقضاء على زعامة علال الفاسي.

قللت:



وهو موقف فرضته التنشئة العاشرة بالأساس، ولم يكن للنعرة القبلية

الرباطية، كمقابل للنعرة القبلية الفاسية !!! سوى دور الهشيم المؤجج للنار.

¹³ نفس المرجع، ص. 471 .

انتهی